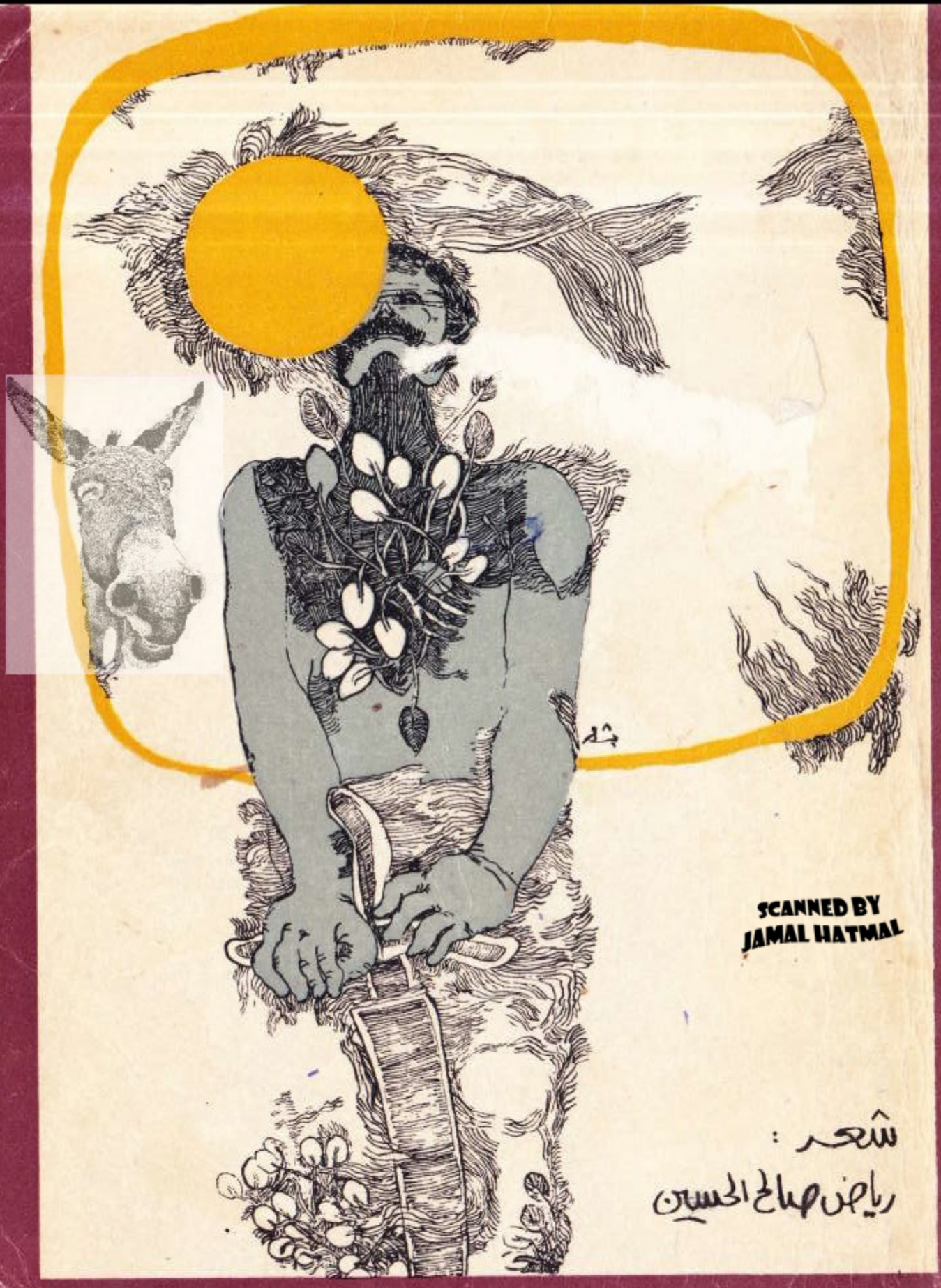

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

شعر :
رياض صالح الحسين

خراب الدورة الدموية

رياض الصالح الحسين

خراب الدورة الدموية

شعر

منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي
دمشق - ١٩٧٩

(الغلاف والرسوم الداخلية للفنان بشار العيسى)

إلى الدنيا والناس

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

دخان

كثيباً ومنفتحاً كالبحر . أقف لأحدثكم عن البحر
مستاءً وحزيناً من الدنيا . أقف لأحدثكم عن الدنيا
متماسكاً وصلباً ومستمراً كالنهر .
أقف لأحدثكم عن النهر
وعندما يصبح النافذة عينان تريان بأسي
وللجدران أصابع تتحسس أضلاعي
وللأبواب ألسنة تتكلم عني
وعندما يصبح للماء طعم الماء
وللهواء نكهة الهواء
وللحبر الأسود رائحة الحبر

ABU ABDO ARBASH

وعندما تهيّء المطابع الأناشيد للقراء بدلاً
من الحبوب المنوّمة
وتهيء الحقول القمح بدلاً من الأفيون
وتهيء المصانع القمصان بدلاً من القنابل . .
سأقف ، أيضاً . سأقف لأحدثكم عني
لأحدثكم عن الحب الذي يغتال المراثي
عن المراثي التي كانت تفتح دفترها الملكي
لتسجل أسماءكم في قائمة القتلى
عن القتلى المتشبثين بالضماد والميكروكروم
الذي لم يأتِ
وسأقف ، أيضاً ، سأقف
لأحدثكم عني
مثلما يتحدث الديكتاتور عن سجونه
والمليونير عن ملايينه
والعاشق عن نهدي حبيبته
والطفل عن أمه

واللص عن مفاتيحه

والعالم عن حكامه

سأحدثكم بحب ، بحب ، بحب

بعد أن أشعل سيجارة !

• ••

الرجل السيئ

« الموت !
لن ، ككل شيء آخر
وأني أتقنه تماماً »
– سيلفيا بلاث –

وأذكر أن المرأة الزرقاء عندما رأتني أبكي جثتاً وفقراء

قالت : عيناك مرآتان لخمسين قارة من الوجع والانتظار

وقالت المرأة التي ترتدي العاصفة والوحوش :

أنت تعرف الكثير عن صبايا الأزقة المغلفات
بالأقفال البلاستيكية الملوّثة
والأطفال الأغبياء المتمسكين بالأحصنة الخشبية
ونهود الأمهات
وقالت المرأة بعد أن فتحت شاشتي عينيها :
(كان ثمة عاشق يرعى فيهما شجراً ومعتقلات)
يداك قاستيان ووديعتان
وأصابعك نحيفة ومعذبة
فهل لمست بهما الرغيف الثمين أو الشفاه
الرمادية المرتعشة ؟
هل قبضت على العالم ؟
وقالت المرأة لي :
أنت تهذي كثيراً بأسماء الأسماك والأعشاب
البحرية
وتفتح مملكة دماغك ليل نهار لقوافل الغجر
التائهة

وتمزق بأظافرك لحم الأبواب والجدران السميكة –
فأي الأشياء أحبّ إليك :
أن تمضغ بشراسة رؤوس العصافير ؟
أو أن تكسّر الصحون والموائد المصنوعة
من خشب الجوز ؟
وقالت لي أيضاً وهي تنظر إلى الرأس
المشوّه المتوتّر في لوحة لسعد يكن :
أمك بجانبك تنحني عليك كيمامة
وأصدقاؤك يقبلونك في المناسبات
وأنا أدفئك في ليالي تشرين الباردة
وأرسل إليك الأحلام الشاسعة والمكاتيب
فماذا تطلب غير ذلك ؟ ! . .
أتريد أن تفجّر النبع ؟ أم تودّ أن تحرث المجرّة ؟
وقالت المرأة القاسية :
أبتكر لك الدنيا . .

خمسة جدران بيض

وسريراً أبيض
ووردة بيضاء في كأس :

وكان يمكن أن أبتكر نعشاً
– أنا الرجل السيء –
لفاطمة العنيفة ونزيه الخائف والبحر التعيس
للأقفال الكريستالية السوداء.
للقرى الصاخبة بالعنب والديوك والبطون المقعرة
للأغاني الممزقة في سلة المهملات
للمعاملات العقارية المبطنة بالأختام
لحبوب الأسبرين والعشاق
لمصارعي الثيران الأذكياء في إسبانيا
للمجرفة الصلبة والفلاح الرقيق
للدم الأخضر ومرتزقة الانقلابات
أنا الرجل السيء
كان عليّ أن أموت صغيراً
قبل أن أعرف المناجم الحارة والدروب

المرأة التي تغسل يديها بالعطور
والملك الذي يزيّن رأسه بالجماجم
الولد الخبيث ذا اللثة الطرية الذي يقشر
الحليب من البكتريا والحروب من الانتصارات
أنا الرجل السيء
كان عليّ أن أموت صغيراً
قبل أن أعرف الأشجار الارهابية ومافيا السلام
وفاة بائع المرطبات على سكة القطار
والغجرية التي أهدتني تعويذة وقبلة
وكثيراً من الأكاذيب
أنا الرجل السيء
كان عليّ أن أموت صغيراً
قبل أن تفترسني الوردة ،
وينحت الفنان النظيف من عظامي القلائد
والأقراط :

الفنان النظيف الوردة النظيفة

يرسم الفنان النظيف الوردة النظيفة
في حجرة ممتلئة بزجاجات البيرة
والعرايا

لافتة للفنان النظيف :

الفنان النظيف يحب الوردة
الحب للوردة والوردة للسكاكين .

أيتها السكاكين المسكينة
أيها الجسد الإنساني القذر
أيتها الكلاب المعبأة بالمقانق والمحبة وعبير النعناع
أنا رياض الصالح الحسين
عمري اثنتان وعشرون برتقالة قاحلة
ومئات المجازر والإنقلابات
وللمرة الألف يداي مبادتان :

للمرة الألف يداي مبادتان
كشجرتي فرح في صحراء
الشمس الشمس

الشمس الناضجة

الشمس المدورة كنهد

المنتشرة كالطاعون في القرن التاسع عشر

المضيئة كعيني طفلة بقميص شفاف على البحر

الشمس الشمس

تمرّ بأسنانها على عنقي اليانع

وتقضم أيامي كما يقضم الطفل تفاحة أو قطعة بسكويت

فتنقفل يداي على صدري

يداي ، كخطى الجنود ، مبادتان

أسأل صديقتي

(صديقتي لحم ودم وخراب)

في الشارع أسأل صديقتي

(الشارع ضيق عندما نبكي

قليل عندما نشتاق)

أسأل صديقتي :

لماذا ، للمرة الألف ، نباد . ؟
منقطعان عن الحب
ممتلئان بالخنادق كامتلاء دمية بالقش
وبعد قليل يغطي الغبار جسدينا
بعد قليل نتشبث بغصن التعب.
متعبان البارحة
متعبان اليوم
وربما غداً ، أيضاً ، نكون متعبين
فمي مباد ولذا لاأستطيع أن أقبلك
يداي مبادتان ولذا لاأستطيع أن أسرقك
من البرد
في المقهى ننام
في الشارع نبكي
من الحقل مطرودان
من المدينة أيضاً
السيارة أداة للقتل
وغصن الزيتون مشرط لإقتلاع جلدة الرأس :

جرثومة النبع

والآن تعالوا لنحتسي قليلاً من الدهشة
والآن تعالوا لنمزّق خطانا المترددة
ونلفّ أوجاعنا بورق السجائر الرقيق وندخنها باطمئنان
فالمرأة والرجل
الصحارى والبحر وأشجار الصفصاف
الدموع ومعامل الإسمنت والحيوانات
كلها الآن مغلفة بالكرتون والخشب الافريقي الراقص
تنتظر على السفينة الكروية الصلدة
وبعد قليل ستتقدم البذلة الأنيقة
التي تحتوي رجلاً لامعاً

لتقدم الهدية إلى وحش رؤوسه بعدد
القارات والمدن والقرى
وحش لايملك أوصاف داريكولا
فأنيابه مهذبة للغاية
ولديه امرأة جميلة ولطيفة
تأكل قلوب الأطفال ببراعة لاعب شطرنج ماهر
وأما هو فيحبّ الويسكي المثلج
وقزقزة الحبال الصوتية للبلابل
وأنا . .
« تعرفون أن أنا هو أنتم »
ـ هكذا يقول شاعر شحيح من بلاد القبعات
الواسعة والمسدسات السريعة الطلقات ـ
. . أنا أحتفي بقدوم المآسي
ولديّ قدرة مذهلة على هضم الأوجاع والصفعات
الرتيبة التي تأتيني كل صباح مع فاتورة
استهلاكي للأوكسجين من المنتزهات العامة

أحبّ صبية بعيون وأضراس وأنف وقدمين
صغيرتين مقشّرتين بمساحيق غسل الثياب
وفي إحدى زوايا غرفتي قميص وبنطال وحذاء
للرقص زائد عن الحاجة
أوقاتي مقطعة
ومساحات عمري بتضاريس تجريدية
وأما جسدي فوكر للفئران
وأما جسدي فمصيدة للفراشات الهاربة
وكم أودّ لو يأتي يوم
لايكون فيه السندويتش بثمن
والصعود إلى الجبل بثمن
والقبلة بثمن
والقبر بثمن
فعندما يمرض النبع
وتضع زهرة المشمش السمّ في فنجان القهوة
الصباحي لزهرة البرتقال

سيتساقط الليل بغزارة

والزجاج بغزارة

والفقراء بغزارة

والرصاص بغزارة

والمدن بغزارة

وعندما نحب بعضنا تماماً

وتقول لي البلاد كل سنة ان جوارها

العشبية قد تمزقت بحمىّ الفرح

فسأزرع أمام كل بيت دمية للطفل المشاكس

وأعطي صبية لكل فتى كئيب من بلدان العالم الثالث

وقيداً للقنابل النيترونية الخرقاء

وزجاجة عطر لأمي في عيد ميلادها

ولحبيبتي جسدي

والراتب القليل الذي أحصل عليه

لقاء قراءة المراثي على قبور أصدقائي .

انظروا . . انظروا

أنا لصّ الأزقة الخرساء
أحمل بيدي مفاتيح العالم
مفاتيح دور سينما ملّ روّادها الحالمون
النظر الى مسدس الشريف والقبلات
الهوائية
مفاتيح بنوك متخمة بالمعاملات والموظفين
والشرطة
مفاتيح قرى تلملم نساؤها روث الحيوانات
من الحقول ليخبزن عليه فطائر
الزعتر الشهية
مفاتيح لمخترعي الأسلحة الذين يصنعون كعك
الموت لأقاربهم وأطفالهم الأعزاء
مفاتيح بيضاً للسلام
مفاتيح حمراً للثوار
مفاتيح زرقاً للعشاق
ولكن ـ وأقولها بأسف شديد . ـ :

إن المفتاح الزيتي الصغير الذي كان تحت وسادتي
يوم الخميس قد سرقه أحد الأغبياء –
وهاأنذا أقضم أظافري وأفكر بحزن :
فليلة السبت لن أستطيع أن أنسلّ إلى بيت
حبيبتي لألعب معها بالورق
ولذا قررت أن أموت لمرة واحدة
بدلاً من الموت سبع مرات في الاسبوع
وبما أنني لاأملك تابوتاً ولا قبراً ولا كفناً
فلقد قررت أن أحيا بعدد الموتى
وأفتح دكاناً لتوزيع الحب عليكم من خلال هذه
القصيدة !

- لا ماء في البحر
لا حياة في القبلة
لا عدالة بين نابي أفعى
ولا شمس ساطعة في قلبي
قطيع من الموتى في فمي
والفسيل على الشرفات -

موظفون لزرق الكآبة في الشرايين
ملائكة بقوانين حمورابية لإغتيال الموتى والاحياء
والقبور
محاسبون لإحصاء الأظافر والأيدي
والرؤوس المتعبة

ثيران بقوائم لطيفة لشرب البيرة واصدار المراسيم

حشرات ملوّنة على الشرفة

وفراشات كالحة على الرمال

عشاق فاشلون

لوحات تشكيلية فاشلة

ربطة عنق ناجحة

دوائر ، وامرأة محطمة

صورة بإطار . صورة بلا إطار

صورة بيضاء . صورة سوداء . صورة سكوب بالألوان

ولكن ليس هذا هو العالم كله :

فالرمال مازالت ناعمة ودافئة

والبحر مازال يرسل للصيادين الخرافات والأسماك

ماء النهر صافٍ

والأطفال مازالوا يحبون الفستق

ثمة رجل يبحث في جيوبه عن امرأة

ثمة امرأة تبحث عن حذائها في الطريق
والصغار يستطيعون أن يبتكروا ألف لعبة
باصبع واحدة من الطباشير
إذن ، لاتحلموا بالشمس كثيراً
فالشمس ستشرق في الساعة السادسة
وثلاثين دقيقة حتماً
إذن ، لاتسألوا العصافير عن لون السماء
في البلاد البعيدة
لاتسألوا الزمن عن الذكريات
لاتسألوا الأشجار عن نكهة الفؤوس في الحاصرة
لاتسألوا الصعاليك عن رطوبة الأرصفة
لاتسألوا التوابيت عن رائحة الموتى
لاتسألوا القتلة عن رائحة الدم
ولا تسألوا سمر عن قلبي
فالأسئلة البسيطة قذيفة
الأسئلة المعقدة إنتحار

ونحن سكان الأرض الأسوياء

من الأفضل أن نوزّع الأقمطة والنياشين على مغتصبي العالم :

• • •

« من الأفضل أن نوزّع التعب الإسبارطي والنقود البيزنطية على الناس بالتساوي » —

هذا ماقالته المرأة الواسعة التي مسحت أحذية القادة بلسانها الملتهب

وكانت تقول لي :

وأصابعها تتحرك كقطيع من الوعول في شعري :

ألديك غرفة بطول قامتي ؟

وهل نافذتها تطلّ على الشارع أم على المقبرة ؟

المرأة التي عبرت المجنزرات بين نهديها كسرب من النوارس البيضاء

كانت تقول لي أيضاً وهي تنتحب بانفطار :

لماذا لم أعد أراك ؟

لماذا لم أعد أراك في المطر ؟

هل أخذوا منك معطفك الداكن ليمسحوا به أحذية الملوك ؟

المرأة التي تركت على ستّرتي صوتها المضيء

تهتم بالحب والأغاني المكتوبة

وتقول لي :

أتريد أن تقبلني ؟

أتريد أن أقبلك ؟

إذن ، اغمض عينيك ودع الشرفة مفتوحة .

المرأة التي لم تقبّل أحداً منذ معركة واترلو

معركة العلمين

مذبحة دير ياسين

ومذابح العالم الأول والثاني والثالث والرابع

كانت تقول لي وهي تضع يدها الطرية

على صدري :

قلبك لم يعد طرّياً
ونبضك يدق ببرود
فهل جعلوا من قلبك منفضة لرماد سجائرهم ؟
ومن شرايينك أحزمة لبواريد جنودهم ؟
المرأة التي كانت تبكي في الأزمنة السعيدة
كانت تقول لي :
ألديك أصابع ؟ أين هي أصابعك ؟
هل سرقوها منك دون أن تدري ؟
هل أخذوها عنوة بمساعدة السكاكين ؟
هل سقطت منك وأنت تركض في الليلة
الفائتة وراء ظلّك ؟
وكانت تقول لي – المرأة اليابسة كقشور الكستناء –
الممتلئة كالكستناء
الناعمة كالكستناء
الطيبة كالكستناء :
أمس لم يسأل عنك أحد

لاماء في البحر
ولا سمكة على الشاطىء
أمس لم يسأل عني أحد
زارني الموت ولم يكن على الرفّ قهوة
ولأن الموت يحب القهوة مثل جميع الناس
فلقد قلب شفتيه وصفق الباب وراءه
ومضى في قطار العتمة .
وكانت تقول لي :
أنت لاتبكي
أنت لاتبتسم
فمن احتسى دموعك بدلاً من الفودكا بالبرتقال ؟
ومَنْ أكل ابتسامتك بدلاً من فطائر الكبد
المشوي ؟
فمك مغلق ، ولسانك مصفّد
تُرى ، هل تخبىء في فمك أغنية أم نقالة موتى؟
حديثاً عن عطلة نهاية الاسبوع ؟

أم طفلة بعينين مفقوءتين ؟
هل نسفوا لسانك أيضاً ؟
أم ثبتوه بسقف حلقك بالدبابيس الفضية ؟
وكانت المرأة التي تعدّ على أصابعها قتلى
حروب الطبقات تقول لي :
هل تعرف نيرون ؟
هل قرأت عن نيرون ؟
نيرون لم يكن مذهلاً ولكنه أحرق روما
أنا هي عاصمتك المحترقة
وأعرف أنك لست نيرون
ولكن قلْ لي :
هل تحبني ؟ هل تحبني ؟ هل تحبني ؟

• • •

هذا ماقالته المرأة الواسعة قبل أن تحمل
مظلتها الضيقة

وتمضي في المطر الناري
وأنا ـ المهذب ، المهذب ، المهذب ـ
إلتفت بمعطفي ومضيت
وأنا أذكر أنها قالت :
من الأفضل أن نبتلع المجنزرات
بدلاً من حبوب الكورسيدين !.

★ ★ ★

• لصرير مفاتيح الريح
لوجه القمر المجدور
لنهار دثّر بالضوء المدن المضنية بالضجّة والزوّار
المدن المحقونة برئات الموتي وحبوب الSiPON
لايدٍ تحمل أزهاراً أو أسلحة
لجماجم مَنْ قُتلوا في الليل / وكان القمر كثيفاً /
ليعاسيب الأحراش المغسولة بالخضرة والدمّ
وللحب وللحرية كنّا نغني
نحن الحطابين الأشرار
نذهب في جهة ضيّقةٍ

أو قنبلة مبيتة

نكتب أسئلة فوق ضروع الأشجار :

١ ـ الحب

أن تحب امرأةً من صفصاف وأعشاب نارية

أن تملىء يداك بالمسامير والبراكين الميّتة

أن تسوّي من خصلات شعرك بيتاً صغيراً

لعجوز وحيدة

أن تذكر أكثر مما ينبغي :

ـ الضفادع المنفوخة على ضفاف المستنقعات

ـ الصنوبر المنثور على الألواح الطينية

ـ القرنفل الأسود الذي حمله دوري بمنقاره

الصغير إلى ساحرة تعيش في كهف معتم

على قمة الجبل

أن تشرب كل يوم برميلاً من بول الموتى

وتأكل ستّ فؤوس وصماماً لعنفة معطلة
أن تعبىء قلبك بمصانع الأحذية والثلوج الملوثة
بالطين والأرانب المسلوخة ببلطة كان يجب
ان تقطع عنق نابليون أو غارودي أو تقطع عنقك

أن تموت بشكل مناسب وباذعان فأرة وجدت
نفسها في مصيدة فولاذية ولا أبواب أو نوافذ للريح

أن تحب امرأة بجنون أحلام هتلر الذي كان
من الممكن أن تكفي رصاصة واحدة لتفجير
دماغه

أن تضع المسدس على صدغك مثلما تضع قطعة
كاتوه فى فمك

أن تضغط على الزناد مثلما يضغط عاشق بائس
بكفيه على كتفي حبيبته

أن تنظر بشراهة إلى الأفق الرمادي البعيد

وأنت ترتدي قميصاً من الطحالب
والبثور ، وحذاء من البكاء والأقبية
وأجنحة الدجاج
أن تحب امرأة :
– تحت إبطها يجري نهر أزرق
– في فمها تعوي حقول الإجاص
– في مركز السرّة تماماً سهل آخضر بين
فكي شمس
أن تحب . أن تمتلىء . أن تسوّي . أن تذكر
أن تشرب . أن تعبىء . أن تضع . أن تضغط .
أن تموت . أن تنظر . أن تحب . أن تحب –
يعني ببساطة بأنك تستطيع أن تكون
جديراً بقراءة هذه القصيدة :

٢ – الأيدي

بيدين ملطختين بالأزهار
بيدين معجونتين بالحمى والحشرات المؤذية

بيدين متسعتين كقلبي
طافحتين بالبرق كعيني من أحبها
بيدين تستطيعان أن تستكشفا أسرار الازهار
وأسرار المصفحات الرهيبة
بيدين من أوراق الدوالي والأفران والسهول
والرغبات المحمومة
بيديّ هاتين أبسط لكِ سجّادة الزمن البارد
ـ أيتها المرأة الوسيمة ـ
وأدعوك للحياة بحرارة
وأدعوك لنسيان السمكة التي هربت من البحر
لتتلقفها السماء وترسلها مخفورة بالعواصف إلى الارض
ليتخذها الشرطي خليلة لبضعة أيام
ويقتلها ، من ثم ، بالغازات المسيلة للدموع .
وبيدين مصفدتين بالأسمال والبواخر المثقوبة
والبعوض
أمزق ـ أمامك ـ أنسجة جسدي

لترى الفوهات المعتمة
التي حفرتها فيه الأسلحة البيضاء والسوداء
لمن امتلكوا – طبقاً للقوانين النافذة –
فرح العالم كله
وتركوا لنا :
– المحارم الورقية الرخيصة لمسح العرق
– الأيدي لنستمر بانتاج قوارب السباق الشراعية
– العيون لمشاهدة حياتهم الباهرة
على شاشات التلفزيونات الملوّنة
ونحن ملوّنان أيضاً :
في عنقك أغمدت ثلاث كرزات
وسرقت من فمك وردة
ونحن ملوّنان أيضاً :
على ظهري سبع عشرة حفرة زرقاء
ومن حلقي يندف الثلج بغزارة
وها انني أبتسم لك بهدوء

سأحبك أيها (أيتها)العشب
سأشرب حليبك الوفي دائماً
ومع ذلك سأظل جائعاً بشكل ماإلى الخبز والمسرّة
ولأنني مهشّم كثيراً بالفؤوس
التي صُنعت لتقليم الأشجار
ولأنني أشتعل لأضيء قبورموتاهم
ولانني أهتم بالقبلة أكثر مما أهتم بالماركات
الجديدة للمسجلات اليابانية
سأستطيع ، إذن ، أن أرسم الخطوط الصغيرة
وأحلّ ببساطة معادلة الحياة التالية :

٣ ـ الحب ، أيضاً :

لقد قدّموا لنا خبز الجوع في صحن من الكريستال
اللامع لأن بطوننا الصغيرة لاتستطيع
أن تتحمل كثافة منتجات الأرض الغذائية
لقد قدّموا لنا جثة الأرض في تابوت من المرجان

بدعوى أنهم لايعرفون كيف يمكن حفر
قبر لائق بها

لقد قدّموا لنا الأوبئة لنتمكن من المحافظة

على ضغط السكان في المدن الكبيرة
بمعدله المتوسط

لقد قدموا لنا الرصاص لنتسلى بقتل أنفسنا
بدلاً من أن نتسلّى بالشطرنج والمطالعة
والنزهات واختراع طرق جديدة للتقبيل

أما نحن فلا نستطيع أن نقدم لهم الحب
لأننا نريد أن نعيش :

٤ ـ الآنسة « س » :

أنا صديق الآنسة « س »
ذات الشعر الخرنوبي الخفيف
« س » التي يركض في شعرها حصان هائج
وساقية أنين

تبيع (الشيكلس) في المحطات حتى الغروب
وتعود إلى بيتها بصدر معبأ بالليل والنجوم
والأحلام اليابسة وقصاصات الجرائد
و « س » التي إكتشفت قبل أيام أن فورستر
يفرم ألسنة الأطفال الافريقيين
ويصدّرها معلبة إلى القارات الخمس —
نامت في فراشي البارحة
بعد أن نفضتُ عن شعرها الخرنوبي الخفيف
ستَّ مدرعات محطمة
وحقلاً من الذرة الصفراء
« س » المملكة المفتوحة للجميع
بجسدها المتين وقلبها الطيب كالدراق —
سألتني مرة بخبث : ماالأرض ؟
قلتُ : « الأرض جرح متوهج ودم غزير
وألم مرتبك »
وعندما كان العمال الموسميون

يبنون بأعضائهم شاليهات لبورجوازيي المدن

سألتني مرة ثانية بخبث أشدّ وهي ترسم

باصبعها الأنيق على الرمل تفاحة معطوبة :

ماالأرض ؟

قلتُ : « الأرض سرير تنام فوقه امرأة ميتة

وبجانبها يبكي رجل بائس »

وفي اللحظة التالية

ومثل أي شيء آخر

تنشقت « س » الغبار الأسود الذي تفرزه

سيارات تملكها ثيران بقرون ذهبية ،

وأضافت : إذن ، ماالفرق بين

السرير والجرح ! ؟

(لقد دفعتُ ثمن السرير جرحاً

وثمن الجرح حاضراً قتيلاً

ولم أستطع أن أشتري لـ « س » زهرة

لوتس أو اسوارة بلاستيكية بعملة

عمري المحطم

فماذا يقول السيد كارتر الذي يتبرع كل يوم

بعشرة سنتمترات من دمه لأحد قرود

حديقة حيوانات تكساس ؟!

وأنا صديق الآنسة « س »

ذات الشعر الخرنوبي الخفيف

التي تتعفن تحت لسانها ليمونة من الاسئلة
البسيطة والمخيفة

انتظرتها على السطح

فجاءت بقميص مطعون بالنجوم والأحلام اليابسة
وكان عليّ أن أقبّلها

وأعتقد بأنني فعلت ذلك بشكل جيد .

* استقلي باص جسده
أو أنتظريه في المحطة التالية
فهو الآن متهم لأنه قتيل
ومتهم بتخريب الدورة الدموية :
القبلة الأولى رصاصة
الطلقة الأخيرة حب .

١ – صورة شخصية لـ : ر . ص . ح :

يركض في عينيه كوكب مذبوح
وسماء منكسرة
يركض في عينيه بحر من النيون
ومحيط من العتمة الطبقية

في عينيه – أيضاً –

تركض صبية جميلة بقدمين حافيتين

يغنّي :

لقد كانت طريّة . . طرية

كالثلج واليابيع

لقد كانت سنبلة طريّة

ولذلك التقطتها بمناقيرها العصافير

لقد كانت طريّة . . طريّة

تركض بقدمين حافيتين فوق سهل أجرد :

٢ – حلم :

منْ يقطن في جسد « يانافاليتوفا »

الطافح بالغزلان وأشجار البلوط

المعبأ بالمعجزات الأرضية المشاعة ؟ . .

منْ يغتسل في محيط عينيها

ويتبلل بالنوارس وأصابع الصيادين السعداء ؟ . :

هاأنذا أتفقد مكتبة أيامي

فاتحاً كرّاسة الأنهار ،
لأقرأ في خطوط يديها :
تضاريس الريح
وأمجاد الأمواج البرية
أتفتت في مناخ قبلاتها :
أسماء خضراء وغابات سالكة
ممالك تفتح أبوابها لفرسان الدهشة
لعصافير الدوري المتفجرة بالغبطة والأناشيد .

٣ ـ عشب :

جلسَ العاشقان على العشبِ
جلسَ العاشقانْ
خلفهما جثة لاتحدُّ
وبينهما جثة ودخانْ

٤ ـ أغنية :

مزرعة للوفي ، يدك التي تمتدّ لاترجعيها
شفتي لغة ملطخة بالضنى ؟ ؟

الآن تتمدد على سرير جسدك الوثير
ترتمي بين اشجار عينيك ذاكرتي
وأنا متشبث بضفائر يديك
أفتح نافذة للحديث . .
وبلحظة يقتنصك الغياب
أو تصبحين فريسة للأغاني ! .

٥ ـ أسئلة :

أيتها البلاد المصفحة بالقمر والرغبة والأشجار
أما آن لكِ أن تجيبني؟ ! . .
أيتها البلاد المعبأة بالدمار والعملات الصعبة
الممتلئة بالجثث والشحاذين ،
أما آن لكِ أن ترحلي ؟ ! . .

٦ ـ مدينة :

يركض في دهاليزها فرس شوكيّ
يحكّ بقوائمه ظهرها الطافح ببثور الجرب
هي . . هي

المدينة / المتذنة

ثمة طاووس وحيد في حديقتها الواسعة

يفرد بزهو ذنبه الملوّن ، لينظر إليه :

آ ـ ماسح أحذية ذو عينين حزينتين

ووجه ملطخ بالبويا

ب ـ امرأة شقراء عيناها جرح ووجها كآبة

ج ـ بائع بطاقات يانصيب خاسرة سلفاً

د ـ كاتب هذه القصيدة المطرود من عمله لأنه

حاول التأكيد على أن الأرض توقفت عن

الدوران ، وأن الأبيض لم يزل أبيض

والأسود لم يزل . . . .

٧ ـ حوار :

قلتُ : للبحر أجنحة

ومر اكبنا الريح قد سرقتها

وتناثر شاطىء البكارة في حقائب قراصنة

البرّ

فالى أين أذهب

وأنا متسخ وعارٍ

مثلما القمر في منتصف ليلة صيفية ؟ .

قلتِ : اغتسل بماء صوتي

وارتدِ قبلاتي

قلتُ : قاطرة الوقت قد أنهكتني

فالقرى مدية تحتزّ وريدي

والمدن الصخرية امتلأت بي ضجراً

وها أنا أتيبّس بين اثنتين :

ـ خطوة وسكاكين . .

ـ خطوة وقرنفل . .

أصبح الصوت سوطاً

والحذاء قبعة

والحدائق مستشفيات

ومكاتيب الغرام قنابل موقوتة . .

فمن أين أبدأ ؟ .

قلتِ : فلتكن في البداية مذبحة الأبجدية ! .

٨ – رقص :

أسقط في حضن حبيبتي
شمساً باردة
هواء مختنقاً
أسقط في حضن حبيبتي
جسداً مسكوناً بالجوع
مصفداً بالحبر والأحذية
أفتش في حضن حبيبتي
عن أغنية شرسة
ولحن مفترس
و . . .
– هل تحبين الرقص ياحبيبتي ؟ ! . . . .

٩ – امتلاك :

حادّة كالشفرة
صلبة كحربة فولاذية تخترق القلب

واسعة كالمحيط

جميلة كالفرح

مضيئة كالضحكة

حبيبتي الممتلئة بالأعياد

شهية كرغيف الخبز

طيبة كبرتقالة

أما أنا . .

فلا أملك إلا هذه الكلمات

وبعض الذكريات التعيسة

المحفورة بضراوة على ميناء جسدي .

• • •

في عصر الحب البلاستيكي والقلوب البلاستيكية
ثمة قطارات تذهب بالجنود إلى الموت في الأعياد
وثمة مهرجون يبكون على أنفسهم سراً
ويُضحكون الآخرين على الحلبة
في عصر المدافىء الغازية والاختناق بالغاز
أشم أصابع حبيبتي
وأشرب ذكرياتها البليدة
هذه الفتاة تثرثر كثيراً عن الحقول
وتجمع صور الأطفال
كهاوية طوابع محترفة

حتى أنها لاتستطيع أن تقتنع
بأن الأمهات سيكففن عن الإنجاب
لأننا نعيش في العصر النيتروني

• • •

إننا نعيش في العصر النيتروني
عصر القبلات السريعة في الشوارع
والإندحار الفادح في الشوارع أيضاً
إننا نعيش عصرنا الضاري
عصر الجواسيس الذين يقدمون لك القهوة
مع المورفين
عصر الطائرات التي تطعم البشر القنابل
والألعاب
إنه عصرنا النيتروني
عصر الأحذية المثقوبة والكلابات
عصر التعب البطيء

من الساعة (صفر) حتى الساعة الخامسة والعشرين
ومن عصرنا النيّروني
عصرنا ماقبل الأخير
ندعوكم : تعالوا . .
أيها البورجوازيون التعساء
تعالوا وشاركونا النحيب والسجون والأغاني

• • •

وهنالك قيد واحد وهناك أغانٍ تترية
وهنالك أسّرة بعدد العشاق
وتوابيت بعدد اللصوص
وهنا . . هنا
رجل معتم وامرأة معتمة وسبعة عيدان من الكبريت
عود كبريت واحد يكفي :
لإضاءة شمعة
أم لتفجير مدينة ؟
عود كبريت واحد يكفي :

لتحضير كأسين من الشاي

أم لتحضير محرقة للملحدين ؟

عود كبريت واحد يكفي :

لتنظيف الأسنان

أم لإخفاء معالم جثة مغتصبة ؟

وهنا : . هنا

حتى الموتى يمكن أن يتألموا

وحتى الموتى يمكن أن يتقنوا الرقص

وحتى الموتى يمكن أن يتلوثوا

إننا ملوثون للغاية

ملوّثون بالحروب وملوّثون بالمجاعات

نحن الموتى الموسميون :

شراييننا محقونة بالضجيج ومقابرنا

محقونة بالدخان.

نحن العشاق الموسميون :

قلوبنا ملطخة بالأرق ولياليا ملطخة بالآهات

نحن العمال الموسميون :
مرهقون دائماً وليس أبداً
مرهقون منذ الاهرامات وحتى جوهرة
بوكاسا الفريدة

• • •

في عصر الرؤوس المفلطحة
ومصانع الحب التكنيكي
وأرغفة الجوع الفاتك
في زمننا الحقيقي الاسطوري هذا
نخرج إليكم . . نخرج إليكم
لامن القبور ولا من المحيطات
لامن الكتب ولا من الجدران
نخرج إليكم . . نخرج إليكم

وبأيدينا كل شيء . .

بأيدينا القمصان الملطخة بالزيوت والطين

بأيدينا مساحيق الـ : د . د . ت

شفرات الناسيت الحادة

انتظارنا العادل ودساتيركم البارعة

نخرج إليكم . . نخرج إليكم

لسنا أشراراً ولا مهذبين

لانحب العنف ولا نكره الطيور

وأجسادنا تفوح دائماً برائحة المعادن واليانسون

نخرج إليكم . . نخرج إليكم

بشرفاتنا وأيامنا التي تتساقط كالذباب

بزمننا المعطوب

ببيوتنا المعطوبة

بأجسادنا المعطوبة

بأحلامنا المعطوبة وفاكهتنا المعطوبة

نخرج إليكم . . نخرج إليكم
نحن مواطنو العصر النيترونى
عصر الرؤوس المزروعة بالألغام
والقلوب الطافحة بالأغانى

• • •

إنه عصرنا النيترونى
عصر المساطر والمرائى والدبابات
إنه عصرنا النيترونى
عصر الشجر النووي والعصافير النازية
والإذاعات وعصر المواعيد الفتية :
مع المدافن نهار السبت
مع الحزن نهار الأحد
مع الخنازير نهار الاثنين
مع الجنون نهار الثلاثاء
مع الرشيشات نهار الأربعاء
ومع الموت الوسيم

إنه عصر المواعيد الفتية الخائفة في جميـــع الليالي

وفي جميع الليالي

في جميع الليالي

لكِ موعد مع قلبي .

• • •

عيد القبلة.. أعياد القتل

– منذ سنة صدمت امرأة وحيدة في الشارع
تلبس بذلة باهتة ولكن عينيها لامعتان
صرنا أصدقاء بسرعة
وبعد أيام تبادلنا القبلات والأحلام
وكان اسمها : س – ٠

– ١ –

كان اسمها : س
تحب الماء
والرحيل في زورق إلى المدن الجميلة

شعرها يتطاير في الريح كالعصافير الخائفة
ويداها زهرتان حول عنقي
وكانت تحب غرفة صغيرة في قطار
وكتاباً لرامبو تخبئه بين ملابسها الداخلية
في حقيبة سوداء تحت السرير
وكانت ، أيضاً ، تحب الأعياد والأطفال
وتكره الجواسيس والقتلة القانونيين
كان اسمها : س
ضفيرتان من أوراق البرتقال والملمس الناعم
تحب الرمل والقبلة
وتحبني أيضاً :

• • •

« حينما كنت صغيراً كغرسة الحمص وأليفاً كالهرة
سألني سيارة هرمة
بعد أن لطختْ وجهي بالطين :

بماذا ستغتسل في المستقبل ؟
أنئذٍ ، فتحت الباب ودخلتْ : س »

— ٢ —

فتحتُ لها الباب وهي خائفة
جلستْ على السرير بانفعال
نظرت إلى زوايا غرفتي كلصّة وتنهدت
— علينا أن نأكل كثيراً ياصديقي ونموت
فما عاد في الأرض متسع للحياة لنا
قرأتُ لها قصيدة فبكتْ
حدثتها عن العمل
وحدثتني عن الأقفاص النظيفة
— حبة برتقال واحدة
وسبعة عشر ألف متسوّل
ماذا يعني ؟ —
خلعتْ قميصها واغتسلت وجلست على السرير
نظرتْ من النافذة الضيقة وتنهدت

ـ غداً من الممكن أن أنتحر
الأن علينا أن نحب .
وضعت على عينيها منديلها الملوّن ونامت
أما أنا . .
فلقد نظرت إلى صدرها المتدفق بامعان
ورقصت بلا رغبة :

• • •

« في التاسعة عشرة وضعت على رأسي قبعة
وحملت كلاشينكوف
أكلت السردين كثيراً والغبار
وكنت كلما جرّدت مَنْ يقتله الأعداء مِنْ
أشيائه القليلة
أجد بينها صورة فوتوغرافية لـ : س »

ـ ٣ ـ

على الرصيف تقابلنا
كانت تمزق دفتر مذكراتها وتبكي

أمسكت يدها بعنف وسرت معها
وفي زاوية ما
في مقهى ما
في شارع ما
شربنا الشاي وتبادلنا القبلات
لكن جسدها النحيل ظلّ يرتعش بقوّة
حتى خفتُ أن يتفتت
مثل كتلة من الطين لم تر الشمس
منذ ألف عام :

• • •

• من روزا لوكسمبورغ حتى فاطمة برناوي

كان جسد من أحبها معجونا بالجراثيم
والقنابل الموقوتة
وكان قميص من أحبها مبلّلاً بالزهور
وأناشيد الرعاة .

من روزا لوكسمبورغ حتّى فاطمة برناوي
كانت يداها تضيقان تضيقان
حتّى تصبحان بحجم جثة
وعيناها تتسعان تتسعان
حتّى تصبحان بحجم قبلة
وأما قلبها فبصخب كان يدقّ ، وباستمرار أيضاً
تك . تك . تك :
نحن معاً في الطلقة
ونحن معاً في الأغاني
من روزا لوكسمبورغ حتّى فاطمة برناوي
سأقول لكِ : حدثيني
عن الطفل الذي يرضع الحمّى من ثدي الأرض
عن الدروب المقفلة
عن العيون المفتوحة على جهنم
وعن الأجساد المفتوحة على البحر
سأقول لكِ حدثيني . . .

ـ ٤ ـ

لقد قدّمت نفسها للبحر
ببساطة وحب ولا مبالاة
قدمتْ نفسها للبحر
هل هذا شيء مثير للضجة ؟
هل ستتحدث عنها النسوة تحت القناديل ؟
هل سيحتفظ الرجل برسائلها في صندوق
بثلاثة أقفال
أم سيقدم للنار كلماتها المعذبة ؟
الأمر الوحيد هو أنها قدمت نفسها للبحر
كما تقدم الأم حلمة ثديها لأول مرة
للوليد الجديد
والبحر الواسع ، الصاخب ، الممتلىء
تلقف جسدها بشفتيه الرقيقتين وسكت
أما هي . .

فلقد ضمّته إلى صدرها بقوة و . . عاشت
كانت امرأة وحيدة
بلا أساور أو بيت أو عشيق
ولذا قدّمت نفسها للبحر
فهل هذا شيء مثير للاهتمام ؟

• • •

« أصبحتُ في الثالثة والعشرين
رجل بوجنتين شاحبتين ومستاء للغاية
ودعت (س) بعد أن تركت على عنقها
دمعة حارة كالفلفل
وها أنذا أعمل لأشتري لها تفاحة ورغيفاً
ولكن ثمة من أخبرني
بأني سأجد في التفاحة دودة
وفي الرغيف صرصاراً ميتاً
فاذا تركت الرغيف والتفاحة سأموت

وإذا أكلتهما سأموت
وفي الحالتين سأخسر نفسي
في الحالتين سأخسر س ،

— ٥ —

ماذا نفعل
إذا كان ثمة عيد واحد للقبلة
وأعياد كثيرة للقتل
ماذا نفعل ؟

• •

رقصة تانغو تحت سقف ضيق

قلبي سائغ للقضم
ملجأ للأرانب الزرقاء
سمكة قرش بزعانف من صبار شرس
قلبي سائغ للقضم
ويتحرك ببطء على بلاطك الشوكي أيتها الأرض
أيتها الأرض الممتدة من الموت بجدارة
على نصال الخناجر
إلى الموت بجدارة أشد
بواسطة حبل يتدلى من شجرة زيتون مغبّرة

أيتها الأرض المعبأة بالأخاديد
المطلية بالحصى والرصاص
المرتدية عباءة من جسور تصل دائماً :
بين القبور والموتى
بين الجرح الأبيض القانوني
والجرح الأسود الخارج على القانون
بين القفص الفضيّ الجميل
والقفص الذهبي الجميل أيضاً
أيتها الأرض المكفّنة بالصور الملوّنة لتيمورلنك
وسالومي
مدي لي لسانك البارد لأعضه بغيظ
مدّي لي شفتيك المهترئتين
لأنثر فوقهما رماد جسدي
فمن الممكن جداً
أن تنفلق ذرّة واحدة على الأقل
لتنسلّ منها زهرة بيضاء

مثلما انفلقت – بالأمس القريب – الخلية الأولى

ليخرج منها البشر مسلّحين بالمِدى

الحيوانات مسلّحة بالأنياب

الجبال مسلّحة بالبراكين

السماء مسلّحة بالصواعق

وأنا مسلّح بقلبي

قلبي السائغ للقضم

باستطاعة أية امرأة أن تمدّ يدها إلى صدري

وتسحب قلبي منه بمرونة

وهذا ماحدث تماماً :

ثمة امرأة وضعت قلبي

/ قلبي السائغ للقضم /

في كأس صغير

وأضاف عليه قليلاً من الماء والسكّر

وكان بودّي أن أسألها مرارة :

لماذا شربت قلبي على أنه عصير برتقال
ولم تأكليه على أنه برتقالة ؟
ولكنها – على الأرجح –
كانت ترقص التانغو تحت سقف ضيّق !

* * *

مساء هادئ فقط

هذا المساء هادىء أكثر مما ينبغي
هذا المساء ليس هادئاً
فأنا رجل أو حزمة ديناميت
وتحت إبطي أوزّة حمراء أو خرتيت أسود
المرأة ذات النهد المعشب واليدين الصريعتين
نامت مع زوجها على السطح
إذن ، هذا المساء هادىء
الفلاح الملتحي لم ينم هذا المساء
فالقد سرق دجاجة سمينة بالأمس
وضبطت المفرزة الجنائية عظامها في برميل الفضلات

إذن ، هذا المساء ليس هادئاً
فريتا الجريحة ماتتِ في الغابة
وغطتها الأغصان الكثيفة والمستنقعات
إذاعة (مونت كارلو) لم تذكر شيئاً عن ريتا
/ سيداتي ، سادتي :
قُتلت القطة لوسي تحت عجلات القطار
ولم يستطع المستر (X) أن يمارس واجباته
الزوجية بعناية /
المساء هادىء جداً
على ضفة الميسيسبي إحدى العاهرات
تغزل الصوف وتحيك الجوارب لقتلى حروب العدالة
الشعراء يتحدثون عن الشعر . . .
العمال يتحدثون عن العمل
العشاق يتحدثون عن الحب
الفلاحون يتحدثون عن الأبقار
ولكنْ قل لي أيها القارىء الوسخ

عمّ يتحدث الموتى
في هذا المساء الهادىء ؟

إنهم بالطبع لايتحدثون عن لعبة الهوكي
أو الأمجاد التي حصلت عليها أميرة موناكو —
لأنها عرضت ملابسها الداخلية أمام جمهرة من
اللصوص
إنهم يتحدثون عن الموت
هل الموت قالب كاتوه أم نسناس دانمركي ؟
أهو تفاحة أم بالياتشو بأنف يشبه التفاحة ؟
هل الموت حلم أم حقيقة
وإذا كان حقيقة

فلِمَ لمْ يزل هتلر يفكّر بحشر الضعفاء
في أنابيب الغاز ؟

ولِمَ لمْ يزل هولاكو يغتال الفلاحات
في حقول القطن ؟
في هذا المساء الهادىء

ثمة شخص يرثي للجميع :
لقطّاع الطرق وأسراب النوارس المهاجرة
للغيوم الكالحة والقتلة المهذبين
ومراسيم حصر الجنسية
للعشاق الفاشلين وكلاب المدن الضالة
وفي هذا المساء الهادىء
سأغلق باب غرفتي ورائي متجهاً نحو النهر
عليّ أن أتوقّع قبلة على الخدّ
أو خنجراً في العنق
ومن الممكن أن ينتظرني قمر أو قنبلة
زهرة بنفسج أو قبر
عليّ أن أتوقع كلّ شيء
فالمساء هادىء
المساء ليس هادئاً !

في الصيف

كان ثمة صبية شقية بعينين صاخبتين
إلتقت بي في قطار التاريخ
وأعطتني كتاباً واصبعاً من الموز
بعد أن نظرتْ بخوف إلى الرجل الضخم
وهو يداعب فوهة مسدسة البارد في
جيب سترته
وحينما طلبت منها أن تعطيني عنوانها
قالت : لابأس
ومصّت ابهامها اللذيذ وفكرت

ثم كتبت شيئاً ما على ورقة صغيرة .
في الشتاء
حينما ذهبتُ إلى المقهى لأراها
كان وجهها أصفر وعيناها رماديتين
وفي ظهرها خنجر أبيض
تتراكض عليه العصافير !

• • •

ونحن أيضاً – عرّفته بنفسي –
نسفّ حبوب العدس في الليالي المقمرة
منتظرين أن تشقّ الشمس شارعاً
في قلوبنا الطرية
ونحن أيضاً – عرضتُ عليه صورة لغجرية
وجهها زلزال –
نحب الجسد التفاحي
والنار الزرقاء
والأسرّة الصاحية
وفي الصباح ننحدر نحو الجدول

لنغسل أصابعنا من الدبق
وقلوبنا من المسرّات
ونحن أيضاً
ـ أردتُ أن أجدد كآبتي أمامه ـ
نبكي على نوافذ تعاستنا
منتظرين أن يأتي نهر الحرية
لنشرب منه إلى الأبد !

• • •

يحدث أنه..

يحدث أن ترى بعض الأطفال يلعبون بالكرة
وهم يتحدثون عن الأسعار المرتفعة
للبيبسي كولا والبسكويت
يحدث أن تسمع بأن رجلاً في صحراء الربع الخالي
يتكلم كثيراً عن البنكنوت والمراوح الكهربائية
يريد أن يبتلع بيضة الثورة
كما تبتلع الرتيلاء ذكرها المسكين
يحدث أن تقرأ عن امرأة أمريكية
وهبت بكارتها لسبعة الاف رجل
ومع ذلك مازالت تنام وهي بردانة

كالقطة في حجرة من الفخار
يحدث أن تحسّ وأنت في هذه الغرفة
بأن فاكهة الدنيا كلها
لن تستطيع أن تمنحك القدرة على الإكتفاء
ولكن الشيء الذي لم تره
أو تسمع عنه
أو تقرأه
أو تحسّه
هو أن ضوء القمر اللطيف
قد يأتي إليك أحياناً
وجيوبه محشوّة بالديناميت والقنابل اليدوية !

• • •

العدالة

العدالة هي أن أركض مع حبيبتي
في أزقّة العالم
دون أن يسألني الحرّاس عن رقم هاتفي
أو هويّتي الضائعة
العدالة هي أن ألقي بنفسي في البحر الشاسع
وأنا واثق بأن أحداً لن يمسكني من أذني
ويقودني – مرّة ثانية إلى القبر
بدعوى أن الإنتحار لاتقرّه الشرائع
والقوانين

العدالة هي أن أأكل رغيفي بهدوء
أن اذهب إلى السينما بهدوء
أن اغني بهدوء
أن أقبّل حبيبتي بهدوء وأموت بلا ضجة

• • •

أساطير

١ – نهر . نهر . نهر :

أكسّر بالحصى مصابيح عينيك
وأفترش صخرة العتمة
أحلم أن يديّ نهاران
ورأسي شجرة ليمون
وجسدي مزرعة للعدس

نهر . نهر . نهر
نهر من القرنفل والعشاق والعصافير الشاردة
/ وصديقتي لؤلؤة قمحية مخبأة في تابوت /
نهر . نهر . نهر

نهر من الرماد والقتلى والمدن المهزومة
/ وصديقتي تضع جبينها على الوسادة وتبكي /
نهر . نهر . نهر
نهر من الغضب اليابس والقبضات الصدئة
/ وصديقتي تفرّ إليّ سرباً من الذعر
وتختلط بي / .

٢ ـ النافذة والرصيف :

تدخل الشمس من النافذة كملكة
من النافذة يدخل الغبار كعنكبوت
حبيبتي تطلّ من النافذة
ومن النافذة أرقب شلاّلات النجوم
من النافذة تترجل رصاصة بمهابة
وتخترق جسدي بكبرياء
أتدلى من النافذة بعينين عشبيتين
وأقفز بارتياع في بحر الأرصفة .

٣ – زهرة برّية لعيني نيرون :

أنا المقيّد المنتشر
أسطحة ذاكرتي تراب
أحمل لحبيبتي أقراط اللوز وأساور العنب الأسود
زهرة برية لعيني نيرون
سيّد الخراب والقصور الجائعة !
ومثلما الأفراح النارية تختلج على قيثارته اليتيمة ؛
أختلج على أوتار حبي
مشنوقاً بأوراق الزيزفون وغبار المدينة المتهدمة
افتحي لي بوابة النهر لأغتسل
اغلقي خلفي نافذة اليباب لأنام
امتلكي دهشتي وخطاي
قبل أن أصبح دمية محطمة
ادخلي فضاء قلبي
كوكباً مائياً صغيراً
ومزّقي رئتي بالقبلات

فأنا المنفتح شراعاً فوق مركبة الخذلان
أحمل لنيرون زهرة برية بيدي اليمنى
وباليسرى أقبض على جمجمة البحر المتفتتة
ومن شفتي تسيل ملكة الحزن والانكسار
وأمام مذبح الوقت
أعرّي أجيالي بغبطة
أغسلها بلفائف التبغ ومقصلة الكلمات
ليغتصبها هيكلي الجوعيّ قطعة قطعة .

٤ ـ كان وقتا جميلا :

لم يكن وجهها بيدراً
حين بعثرني الوقتُ
قلتُ لها : أنت لي . .
وأخذتُ رمادي من الشرقِ والغربِ
من جهةٍ صلبتني
ومن جهة أمسكتْ خطوتي قبل أن ألمسَ النهرَ
أعطيتها جسدي وبطاقةَ حبٍّ ملوّنةٍ

وبكيت قليلاً على صدرها الشجري
رحلتُ . وقفتُ :
ليس لي غير صوتي ونافذة وترابْ
ليس لي غير هذا الغبار الصغير
سيخنقني جسدي
الآن تأتين أيتها المقصلةُ ويبابْ
إقرع الكأسَ بالكأسِ
موعدنا جثتان
إقرع اليأسَ باليأسِ
مدّدني جبلاً في الطريق
فشاحنة أينعت في فمي :
وردة ومصابيح ذئبية
وجزيرة موت
ولا أنتهي . .
كان وقتاً جميلاً جميلاً
ضفة ورمال ، ومشنقة تتدلّى

وشاخصة : (سيدي، لن تعيشي)
كانت الأرض عرساً بسيطاً
وهاجتي في يديّ كحبة توتْ
وبحارة ينشدون :
لقد كنت قنبلةً ياحبيبي
تفجرني ، وتموتْ .

٥ – لوسيفورس يقشر برتقالة البحر :

أصعد النافذة المفتوحة على ثديي قروية ترضع الأرض
شفتاي مكبلتان بالسخام وتعب الصحراء
أصعد ، حاملاً المدينة تحت إبطي
بيوتاً ملطخة بالقهر والابتسامات الباردة
أرى :
لو سيفورس يقشر برتقالة البحر
أنتحب بين يديه

لو سيفورس ، اعطني سكينك وخذ جسدي
– لوسيفورس ، اعطني قدميك وخذ ذاكرتي
الطافحة بالأسماك الجميلة الميتة
– لو سيفورس ، اهدني مسدساً أثقب به
جمجمة الليل أو اهدني موتاً حقيقياً . .
فلّما أزل موغلاً في نفق البكاء ،
أترك اثراً / زنبقة في صدر امرأة ، وأموت .
ولمّا أزل أستلقي على أرصفة الدنيا ،
أحلم كخروف بالحشائش والتبغ والجدران الخمسة
وفي الصباح أترك اثراً / بقعة دم متجمدة ،
وأموت .
الرسائل أيضاً . .
أدسّ فيها زهور اللوتس وجوعي
وأوزّعها على بريد العالم
فيرسلون لي في طرد مضمون قنبلة ناعمة
تنسفني ، وأموت .

لوسيفورس . .
هل رأيت الشمس وهي تتدلى من حبل مشنقة ؟
لقد كانت أمي تحبها كثيراً
وتطرز لها في الشتاء قميصاً من خيوط شجرة عينيها
هل تعرف أين تختبيء الأقمار القديمة ؟
مرّة فتحت تلميذة صندوقها الخشبي الصغير
الذي تضع فيه كتبها المصوّرة
وكنت أختلس النظر كقط ذكي
فرأيتها :
عشرة أقمار . .
عشرة أقمار صغيرة لامعة !

* * *

صورة : — لوسيفورس يأكل برتقالة البحر —
صوت : — لوسيفورس ، أطعمني ، فأنا جائع

٦ — المهدورة :

تنبثني امرأة كبريتية
فمها وكر للخفافيش والأسلاك الشائكة :

– زمنك المتقدم على قدمين من زجاج ،
سينكسر قبل أن يصلك .
تنبئني امرأة طائشة :
– زمنك المنكسر يأتي إليك بلا أيام
محمّلاً بالتوابيت وبطاقات التعزية .
تنبئني امرأة تدخن الماريجوانا
في مقهى البحر المتوسط :
– زمنك الميت ، مكتئباً يسير في أزقة المدينة
يسأل عنك الأرصفة الرطبة
ويفتش في جيوب الشحاذين عن عنوانك المحترق .
ينبئني زمني :
– امرأة تخبىء في عينيها كلّ الأفراح
المهدورة والأعراس الممزقة . .
قادمة من بين يديك ،
فاستقبلها .

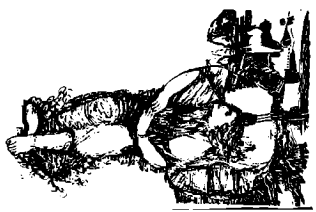

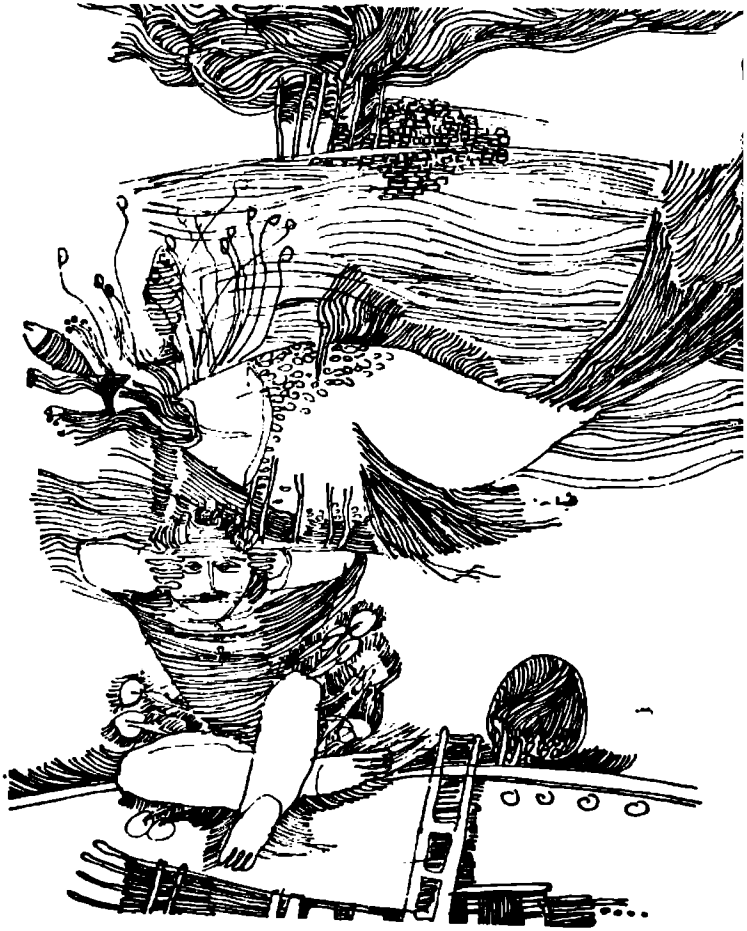

.....

مطر أشقر وفرس زرقاء
وجثتي في الشارع وحيدة
وما زلت أكتب العصافير على ورق الجدران
وأرسم تفاصيل حبيبتي الكثيبة
مدن من زهر النعناع
وقرى من نفايات المدينة
جثتي في الشارع وحيدة
وأنا أصرخ في بوق الريح :
أيها الزمن السيء . أيها الزمن اللعين
يارغيفاً من حشرجات ووطاويط
ألم تر حبيبتي الكثيبة

سمراء . قمحية . مدمرة . بحر
ملفوفة بالأعشاب والغيوم الكتيمة
عيناها سمكتان ونهدها غزالة
وسلّم سرّتها طويل
درجة أولى وساعتي رطبة
ماذا تطلب أنت ؟
– زجاجة بيرة وصحناً من الأحزان المقلية
قصائد مملحة بجوع الفقراء
وأشجاراً مبادة بالأسلحة الكيميائية ! .
تعلّم ، إذن ، كيف تحب العالم
تعلّم كيف تبتلعه .
درجة ثانية وسلم سرّتها طويل
لاتصعد هذا الوجع
قد تطلع من الحائط نسمة بحجم جبل
قد يخرج خرتيت من بطن خزانة محشوّة

بالثياب الفرنسية موديل / ٢٠٠٠ /
وربما يطل برأسه ديناصور رهيب
من كتاب يتحدث عن الحب والأزهار
إقرأ كتاب النار ولا تشتعل
دخّن لفائف قهرك الرخيصة
فالدرجة الأخيرة آتية
وسلّم سرّتها طويل
ضمّد جراحك بالأرصفة ورسائل المساجين
فمعدن حبيبتك مزوّر
وأنت لم تتعلم فن الضحك في مدرسة
دريد لحام
ولم يعلمك أوفيد فن الحب
إنسان بسيط أنت
تريد أن تأكل وتتزوج وترقص !

* * *

جسد حبيبتك شمس
إذا اقتربت منها ستحترق
كفّا حبيبتك مدينتان
إذا دخلتهما ستصاب بالإنفصام
شفتا حبيبتك رغيفان
إذا آكلتهما ستصاب بالتخمة

* * *

مطر أشقر وعيون زرقاء
وأنتِ ممددة على معطفي الممزق
المدينة نائمة ونحن وحيدان
وسندريلا في ردائها الطويل تطاردها المذبحة .
أنا جائع جائع
كعصفور على صخرة نائية في بحر متسع
ولكني لاأريد أن أموت
أنا مقهور مقهور
كورقة صفراء لم تأخذها الريح في الخريف

ولكني لاأريد أن أسقط في الفراغ
أنا معذب معذب
مثل ديك بعنق مقطوع يركض في أزقة
خاوية ودمه لايتساقط منه
أنتِ جميلة والمطر أشقر ونحن وحيدان
ولكن لاأريد لموتي أن يتسع

* ° *

أيتها الرائعة الخاوية حتى من جسدي
أيتها البلاد المثقوبة كالخرز أو كالجراح
هاأنذا أعطيك نهراً قبل أن أغتسل
فيه .!.

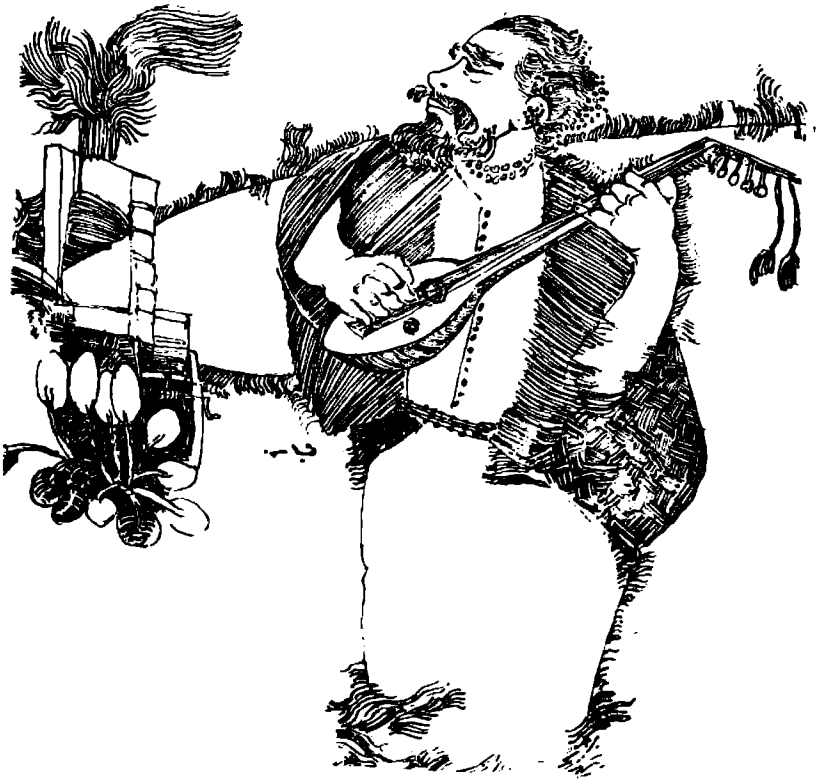

الفهرس

الاهداء	٥
دخان	٧
الرجل السيء	١٣
جرثومة النبع	٢١
أقحطة دنياشين وولاعات للرجال السعداء	٢٩
سطور من كراسة الحطابين الاشرار	٣٩
خراب الدورة الدموية	٥١
مارسيلين العصر النيتيروني	٥٩
عيد القبلة . . أعياد للقتل	٦٩
رقصة تانغو تحت سقف ضيق	٧٩
مساء هاديء فقط	٨٣
خنجر أبيض	٨٧
النهر	٩١
يحدث أن . .	٩٣
العدالة	٩٥
اساطير	٩٩

...-...-...

سعر النسخة

٣٠٠ ق.س.ل

مطبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي

دمشق ـ ١٩٧٩